[6] ثم يصف فجيعة المجتمع الاسلامي في الظل الاموي الثقيل: (وا لا يزالون حتى لا يدعوا محرما إلا استحلوه، ولا عقدا إلا حلوه)، وستعم المأساة المدن والبوادي: (حتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم. ويبدأ زمن البكأ: (وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لدنياه). والامام وهو يستشرف المستقبل بهذا الوضوح ويصوره بهذه البلاغة المؤثرة، قد احتاط لجثمانه الطاهر ولا شك بوصية شخصية مؤكدة على دفنه ليلا وفي ظروف بالغة السرية حتى انه لم يشهد المراسم إلا أقرب المقربين من أنصاره والسائرين على خطه. ومنذ سنة 40 للهجرة ظل القبر وهو في الكوفة أو ضواحيها سرا لا يعرفه إلا أهل البيت (عليهم السلام)، وممن حملوا الامانة واستمر الوضع حتى اشتعال الثورة التي حملت شعار الرضا من آل محمد (صلى ا عليه وآله وسلم)، وذلك سنة 132 حيث بدأ الحديث علنا عن مكان القبر في منطقة النجف الاشرف. وقد اصبح مزارا لمدة محدودة جدا حيث عاد الى الاختفأ مرة أخرى وامحت معالمه بسبب انفجار الصراع بين العلويين والعباسيين وخشية الناس انتقام السلطة العباسية، وقد ساعد على ذلك ايضا وقوع القبر في واد منخفض فكان عرضة للسيول وهبوب الرياح. وقد ظل القبر كربوة من ربى الوادي وأكماته في تلك الارض الموحشة الخالية من أي اثر للزراعة والحضارة. حتى إذا اطل عام 179 ه شاء ا أن يظهر كرامة عبده الصالح على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد وذلك في رحلة صيد وردت قصتها في كتب التأريخ.

_____